قضايا ومشكلات
داخل المجتمعات الإسلامية فى الغرب

أ.د/ جعفر عبد السلام(*)

مقدمة

لا شك أن قيام المعهد العالمى لوحدة الأمة الإسلامية بتنظيم هذا المؤتمر المهم عن «العلاقة بين الإسلام والغرب» واختيار موضوع الحواجز والجسور كموضوع لهذا المؤتمر يعد أمراً بالغ الأهمية فى الظروف التى نحياها الآن، على أساس أنه يهدف إلى إبراز ما يمكن أن يكون جسوراً لروابط جيدة وسوية بين الجانبين، وكذا يلقى الضوء على الحواجز التى تعيق عمل هذه الجسور فى نفس الوقت.

أقول: إن هذا الموضوع يعد طرحًا جديداً لعلاقة العالم الإسلامى بالغرب؛ لأنه يستهدف فى النهاية إزالة العوائق التى تقف فى وجه قيام علاقات جيدة بين الطرفين. إن الغرب استفاد من الحضارة الإسلامية باعتراف المنصفين من أهله، أفاد منها المنهج العلمى والضوابط الأخلاقية التى تحمى المجتمع من الأضرار والكوارث، كما استفاد من العديد من الإسهامات التى قدمها المسلمون فى العلوم الأساسية النظرية والتطبيقية على حد سواء. كما أن الغرب استفاد -ويستفيد- من الموارد الطبيعية والبشرية الضمة الموجودة بالعالم الإسلامى، كما استفاد من العقول المهاجرة التى أسهمت فى التفوق العلمى فى أوروبا وأمريكا. وكذلك استفاد من الأيدى البشرية الرخيصة التى لازالت تعمل فى كثير من الدول الأوروبية، بعد أن هاجرت للإسهام فى تعمير ما خربته الحربان العالميتان فى أوروبا، وهذه جسور لإقامة علاقات جيدة بين الطرفين.

لكن العوائق والحواجز بين الطرفين لازالت واسعة، يأتى على رأسها عدم قدرة المسلمين الذين هاجروا إلى الغرب على الاندماج مع المجتمعات الجديدة، مما أوجد

(*) أستاذ القانون الدولى، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية.

أولاً: مراحل التواجد الإسلامي في أوروبا:

بدأ استقرار المسلمين في أوربا قرابة النصف قرن لأن سبع محاولات متعددة لفتحها في عصر الجهاد العظيم كان من نتيجتة وجود دولة قوية للإسلام في أوروبا - أسبانيا، عاشت زمنا طويلا من ٩٢ - ١٣٨هـ إلى ٧١٠ - ٧٥٥م بل إن وجودها في جنوب أوروبا قد اثر تأثيرا كبيرا في الحياة الأوروبية والحياة في بلاد الإسلام في نفس الوقت.

وكانت المرحلة الثانية للتواجد الإسلامي بأوربا على يد العثمانيين الذين برزوا كقوة كبيرة نشرت الإسلام في أوربا واوجدت دولا مهمة له في البلقان وبالذات في البوسنة والهرسك وفي بلغاريا واليونان وألبانيا ومناطق عديدة في وسط وجنوب أوروبا.

لقد كان دخول المسلمين إلى أوروبا في هاتين المرحلتين دخولا صعبا تم عن طريق الجيوش ولقي مقاومة صعبة من قبل الشعوب الأوروبية، بل إن هزيمة المسلمين في الأندلس عرفت ألوانا من المعاناة للمسلمين على يد الأوروبيين وكان من حصيلتها إنشاء محاكم التفتيش وقتل وإعدام الأبرياء أذاقتهم سوء العذاب بلا ذنب ولا جريرة.

وبعد المرحلة الثانية، والتي لازالت أوروبا تعايش بعض آثارها حتى الآن وجدنا أعمالا إجرامية ارتبطت بمحاولات عديدة لإخراج المسلمين من أوروبا، وعدم السماح من جديد بتكوين أي دول لهم فيها، وتمثل مأساة البوسنة والهرسك وكوسوفا أمثلة واضحة لما نقول.

مع ذلك منذ نصف قرن تقريبا بدأت تقيم سياسة جديدة في التعامل مع المسلمين على أرضيها. لقد أشبعت أوروبا غرورها عندما انتصرت على المسلمين في ديارهم واستطاعت أن تحاصر الإسلام في دياره وخاضت عدة حروب ضده، بعد عصر الحروب الصليبية، أعني حروب الاستعمار التي ارتبطت بحركة الكشوف الجغرافية في القرن السادس عشر، وبدأت تستعين بالمسلمين من البلدان التي افتتحها من شبه القارة الهندية، ومن المغرب العربي ومن تركيا، ومن الشام ومصر وغيرها.

لقد كانت ترسى صرح حضارتها الصناعية وبدأت تحتاج بشدة إلى الأيدى العاملة العربية الرخيصة بعد الحربين العالميتين وما سببته من نقص الرجال ، فاستعانت كل دولة أوروبية بأبناء مستعمراتها للحروب أولا ، ثم للتعمير بعد ذلك وكانت الظروف مواتية لدى شعوب المستعمرات للخروج من بلادها تحت ضغط مغريات عديدة أهمها: الأجور المرتفعة، مستوى المعيشة الأفضل، ثم الانفتاح على علوم النهضة الأوروبية الحديثة لدى فئات كثيرة من هذه الشعوب.

وهكذا تجمع ملايين البشر من المهاجرين المسلمين وغير المسلمين فى بلدان أوروبا الرئيسية ، واخذوا يمارسون دور مهمًا فى الحياة الأوروبية ، وبدأت العديد من المشكلات المتصلة بهذا الوجود تطفو على السطح.

وبدأت تثار بشدة قضية تعامل أوروبا مع المسلمين الموجودين على أراضيها ، كما بدأت تثار بشدة قضايا علاقة المسلمين بهذه البلاد.

ثانياً: مشكلة اندماج المسلمين فى الحياة الأوروبية:

لقد كانت هذه الأقليات تعيش لفترات مؤقتة وكان أملها فى العودة إلى بلادها أملا قائما ويتجدد مهما طال الوقت ، ولكن الزمن مضى بها واستقر أغلبها فى أوروبا ، بل إن العديد منهم ، شجعوا أقاربهم وذويهم على النزوح إلى أوروبا وتزوج بعضهم من زوجات أوربيات وانجبوا منهن ، كما أنجب بعضهم أبناء عاشوا فى أوروبا ولم يخرجوا منها وبدأت الأجيال تعانى من مشكلات جديدة.

والأسئلة التى أثيرت وتثار حتى الآن حول الوجود الإسلامى فى أوروبا هى : هل يسمح لهم بالاندماج فى المجتمع الأوروبى بحيث يشكلون جزءاً منه أم يظلون أقليات لهم حقوقهم الخاصة ولا يندمجون.

وإذا كان الاندماج غير مطلوب ، فما هو البديل الأفضل لهم الآن ؟

ولقد تفاهمت هذه المشكلة بشكل كبير بعد انتهاء الاتحاد السوفيتى وزواله من

خريطة العالم ، كان هناك صراعا أيديولوجيًا حادًا بين النظام الغربى الرأسمالى والنظام الشيوعى السائد فى الاتحاد السوفيتى وكانت الشريعة هى الأيدلوجية البغيضة للنظام الغربى، وبدأ هذا النظام يبحث عن عدو آخر وصراع بديل ، واتخذوا الإسلام والمسلمين كعدو بديل.

وبدأت بعض الأحزاب السياسة والأنظمة الأوروبية فى اتخاذ إجراءات للمواجهة حتى فى فرنسا التى استفادت استفادة كبرى من الوجود الإسلامى فيها ، رأينا الأحزاب تطالب بمنع الهجرات إلى أوروبا ، بل وبطرد المهاجرين المستقرين منذ عدة أجيال فيها ، وبدأت مقولة الشاعر الإنجليزى ردوارد كبلينج (الشرق شرق والغرب غرب) ولا يمكن أن يلتقيا ، تسيطر على عقول الكثير من المثقفين والسياسيين فى الغرب. واتخذت معظم الدول الغربية فعلا إجراءات لمنع الهجرة وتشجيع المهاجرين الذين استوطنوا أوروبا على العودة إلى ديارهم بما فى ذلك الإغراء بالمال.

ويقابل هذا الاتجاه اتجاه أخر يدعو إلى الإبقاء على المهاجرين المسلمين ودمجهم فى المجتمع الأوروبى مع تمتعهم بحقوق وحريات أساسية تكفل تقرير ممارستهم لحرية العقيدة ، والإبقاء على السمات والخصائص المميزة لهم ، ويستند هذا الاتجاه إلى الحجج الآتية :

١- أن المسلمين قدموا خدمات جليلة للمجتمعات التى يعيشون فيها ، وساهموا فى إعادة بناء أوروبا بعد ان دمرتها الحربان العالميتان، بل إنهم وقفوا إلى جانب الدول التى يعيشون فيها فى الحرب واستشهدوا مع أبنائها فى الحرب.

٢- أن المسلمين يقومون بأعمال لا يقوم عليها الأوروبيون الآن ويقومون بالحرف المتواضعة كتنظيف المدن ورفع الأثقال.. الخ، وسيمثل تركهم لأوروبا مشكلة الفراغ فيمن يمارس هذه المهن.

٣- أن أوروبا استفادت كذلك من العقول المهاجرة منهم ، ونبغ العديد منهم فى

مختلف الأعمال العلمية ، وصاروا يمثلون ركائز للتقدم العلمى فى هذه البلاد.

٤- أن أوروبا تتعرض لمشاكل كثيرة بسبب قلة الخصوبة وستعانى بشدة من هذه الظاهرة ، وبدلا من ان تفتح الأبواب لدخول هجرات فيما بعد ، فالأفضل ان تحتفظ بهذه الهجرات التى صار لها ولاء للأوطان الجديدة ، وفهمت ظروف الحياة فيها.

٥- أن هناك مدارس أصبحت غالبية الطلاب فيها من المسلمين ، وهذه الظاهرة واضحة تماماً فى إيطاليا وبعض الدول الأوروبية الأخرى.

ونخلص من ذلك إلى أن الوجود الإسلامى فى أوربا أصبح يمثل مشكلة ، وبدأ يثير فى نفس الوقت بشدة قضية العلاقة بين الإسلام وأوربا ، وبحث أفضل الأساليب للتعامل مع هذه المشكلة الآن.

ضرورة الاندماج :

تدل خبرات التاريخ على أن الاقليات التى تعيش منعزلة عن المجتمع الذى تعيش فيه ، تتعرض للكراهية وللانهيار. ووضع اليهود فى أوروبا يرينا صدق هذه الحقيقة فى الماضى القريب.

والأفضل للمسلمين ان يندمجوا فى المجتمع الأوروبى الذى يعيشون فيه ولا يعيشون منعزلين فى أماكن خاصة وتجمعات خاصة كما نرى الآن. وهذا الاندماج يجعلهم يزاولون مهناً أفضل ويقيمون علاقات اجتماعية واقتصادية بطريقة أفضل ، ويمارسون نفس الأعمال التى يمارسها الأوروبيون.

الحفاظ على السمات الخاصة :

وهى معادلة تكاد تكون صعبة إذ إن الاندماج لا ينبغى إن يتحول إلى ذوبان فى انهار المجتمعات الأوروبية ، بل يجب ان يتم مع الحفاظ على ما يميز المسلمين من سمات. فلابد من الحفاظ على أداء الصلاة والتقاليد الإسلامية فى المعاشرة واحترام الغير وعدم الانغماس فى اللذات والشهوات بالطريقة الأوروبية واحترام القيود التى

يفرضها الإسلام على ممارسة الجنس، إلى غير ذلك من المعتقدات والعادات الإسلامية.

ومطلوب من المجتمع الأوروبى أن يحترم التقاليد والمعتقدات الإسلامية ويشجعهم على التمسك بتعاليم الإسلام، بل إن المدرسة الأوروبية يجب أن تهتم بتعليم العقيدة ومبادئ شريعة الإسلام إذا أرادت لهذه الأقلية أن تكون عاملا للقوة ولبناء الأخلاق فى المجتمعات الأوروبية.

لقد حضرت ندوة فى إيطاليا اعترف فيها أحد من يكلفون بإعداد المناهج التاريخية انه وضع معلومات خاطئة عن الإسلام كالقول بأن النبى محمد هو الذى كتب القرآن الكريم ، كما وضع صور تختلف مع ما علمه بعد ذلك عن الإسلام. ولا شك أن سوء فهم الإسلام وتصوير المسلمين بشكل سيىء ظاهرة قائمة فى المجتمعات الغربية بشكل عام ، وهى تغاير الواقع.

إن معضلة التعامل الناجح بين الحضارة الغربية والمسلمين الذين يعيشون فى أوروبا تكمن فى الاحترام المتبادل لأسس الحياة السليمة ، ان وجود اكثر من ثقافة أمر يثرى التجربة الإنسانية وينميها ويعطى قيمة للحياة بشكل عام ولا يمنع ذلك من احترام مقومات عامة للحياة المشتركة لأننا فى النهاية ننتمى لجنس واحد ولعالم واحد.

تجاوز المشكلات :

ان المسلمين الذين يعيشون فى أوروبا الآن لا يمثلون النموذج الإسلامى الذى يجب ان يكون وللأسف فان فريقا منهم يمارسون أعمالا هامشية بل إن الكثير منهم يقومون بأعمال غير مشروعة مثل الاتجار بالمخدرات وأعمال الدعارة ، وهى أمور محرمة فى الشريعة الإسلامية وفى مجتمعاتهم الأصلية وفى المجتمعات الأوروبية التى يعيشون فيها. لذلك فان السجون الأوروبية تمتلئ بهم ، كما إن الممارسات تبث الكراهية لهم فى هذه المجتمعات ، وهذه إحدى المشكلات الكبرى التى يجب أن تعالج لوضع حلول لمشاكل هذه الاقليات.

ثالثاً: مشكلة الزواج المختلط:

كذلك فإن أوروبا أصبحت تنظر إلى الزواج المختلط بين الرجال المسلمين والنساء الأوروبيات نظرة سيئة ، إذ إن الزواج لا يستمر طويلا لأن دوافعه تكون فى الغالب اقتصادية ، ويرتبط أغلبه بالحصول على الإقامة الدائمة فى أوروبا. وتكتنفه فى العادة صعوبات التكيف بين الجانبين نظراً لاختلاف الطباع والأفكار والعادات ، فلم يعد صعباً فى أوروبا أن يترك الرجل زوجته وينظر إلى غيرها والحرية الجنسية أصبحت هى الطابع الغالب على العلاقات فى أوروبا وهى أمور لا يمكن قبولها من المسلم بسهولة، وتقع بسببها العديد من الجرائم فى الدول الأوروبية.

ويثير زواج المسلمة بالأوروبى مشاكل أفدح ، فهو محرم فى الشريعة الإسلامية ، وإن كان بعض صور هذا الزواج قد تطور إلى أن يدخل الزوج الإسلام ، إلا أنه تطور إلى قتل الزوجة من ذويها، أو هروبها بشكل أو بآخر من الوسط التى خرجت منه، وهذا يؤدى إلى ظواهر غير إيجابية فى أغلب الأحيان.

رابعاً: مشكلة عدم الولاء للمجتمع وتكفيره:

كذلك من الممارسات التى يجب التركيز عليها ، تفكير المجتمع الذى يعيش فيه المسلمون ، وعدم الولاء له ، مما يجعل الرابطة بين المسلمين وهذا المجتمع رابطة مادية يكتنفها الكثير من الصعاب التى تؤثر على الوجود الإسلامى كله فى أوروبا.

والواقع أن المؤسسات التعليمية الإسلامية التى بدأت تنتشر الآن فى أوروبا ، ومنها الأكاديمية الإسلامية بالنمسا وغيرها ، يجب أن تقوم بواجبها فى تجلية الأفكار الإسلامية الصحيحة ومواجهة هذه المشكلات بقوة.

إننا يجب أن نعترف بأن الكثير من المرشدين الدينيين والدعاة الذين يأتون إلى أوروبا ليسوا على المستوى الفكرى والعقائدى المناسب بل البعض لا يفهمون ظروف المجتمع الأوروبى الذى يعيشه المسلمون كما أن تدخلات بعض الدول الإسلامية فى شئون الجاليات المنتمية إليها مما يؤدى إلى كثير من الظواهر السلبية ، منها نقل

المشكلات السائدة فى العلاقات الإسلامية فى دولنا إلى المجتمعات الأوروبية ، وخلق أسس للصراعات الدينية والمذهبية التى نحتاج إلى التخلص منها بشدة.

ومرة ثانية أعود إلى أهمية أن تقوم المؤسسات العلمية الإسلامية فى أوروبا بالتنظير الصحيح لأسس قيام العلاقات بين المسلمين وغيرهم وبالذات فى أوروبا.

تقسيم العالم إلى دار إسلام ودار حرب

إن تقسيم العالم إلى دار إسلام ودار حرب على سبيل المثال هو تقسيم فقهى أمتله ظروف العداء التى سادت بين المسلمين وأعدائهم بسبب إخراج المسلمين من ديارهم وأقوامهم ، ولا يقوم هذا التنظير على قواعد شرعية وإنما كان يقننه الواقع. وهذه الظروف قد تغيرت الآن ، بدليل أن المسلمين يعيشون بأمان فى هذه البلاد ، ومن ثم فإن هذا التنظير يجب أن يتغير ، أو يوضع فى الحدود التى أوجدته ، بل إن الأساس الفقهى له قد انتهى فهذه الديار على أسوأ تقدير (دار عهد) وبالتالى يجب دعمها والتعاون إلى أبعد مدى معها.

كذلك فإذا كان الإسلام دين دعوة ودين جهاد ، وإذا كانت الحرب ضد الأعداء قد فرضت لتأمين الدعوة وتحقيق حرية العبادة ، وأن الظروف الآن مواتية للقيام بالجهاد – وهو إفراغ الجهد لتبليغ الدعوة – لصورة لم تتوافر من قبل ولا تحتاج إلى حمل السلاح. إذ ان الفقهاء اعتبروا أن الجهاد يتحقق بشكل أفضل إذا اعتمد الأسلوب السلمى أداة له طالما لا يوجد من يستخدم السلاح ضد تبليغ الدعوة يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[النحل:١٢٥]

ويقول : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[آل عمران:٦٤].

وهذه الآيات وغيرها ترينا أن الكثير من الأفكار التقليدية المعتمدة فى أبواب الفقه الإسلامى ، يجب أن يعاد شرحها وطرحها بما يتمشى مع ظروف الحياة الجديدة

obeikandl.com

، ومع إقامة المسلمين واستيطانهم فى المجتمعات الأوروبية والتى لا يحكمها الإسلام ، ولا يسيطر عليها المسلمون.

إن السلام صار هو القيمة المهيمنة على المجتمع الدولى بعد الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص ، ويجب أن تسقط دعاوى العنف بكافة أشكالها ، ويجب أن يوجه الجهد إلى إزالة الأسباب التى تدعو إلى العداء بين الشعوب والى بث الخلافات العميقة بينهم ، وهو طرح وضعه ميثاق الأمم المتحدة فى كل نصوص وفى أول عبارة وردت فى ديباجته وهى التى جاءت تقول : " نحن شعوب العالم قد آلينا على أنفسنا أن ننقذ العالم من ويلات الحروب التى جلبت على الإنسانية مرتين خلال جيل واحد أحزانا يعجز عنها الوصف".

إنه طرح لفكرة تلغى الفوارق بين الشعوب وتعترف بالمساواة بينهم وتقر لهم جميعا بالحقوق الإنسانية وأولها الحق فى تقرير المصير وهو طرح يدعم بقوة فكرة قيام العلاقات الودية والمتينة بين شعوب الأمم المتحدة. وهو طرح أصبح يلزم كل من ينضم إلى المنظمة الدولية ويتعهد بتحقيقه لكل الشعوب ولكل الدول.

إن هذا الطرح يدعم التعاون الاقتصادى بين جميع الشعوب لإقامة السلام على أسس متينة وهو طرح أيضا يقول إن الحرب تنشأ كفكرة فى أذهان البشر ، لذا يجب أن تستبدل بأفكار تؤمن بالسلام وتقيم صروحه فى هذه العقول والأفئدة ، كما تعبر عن ذلك مقدمة ميثاق اليونسكو.

خامساً: مشكلة ممارسة الحقوق فى المجتمعات التى يعيشون فيها :

لا يمكن أن تنهض الحضارات العالمية الحديثة إلا إذا اعترف المسلمون بالآخر وتعاملوا معه وفقا لتعاليم الإسلام فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة:٨]، كذلك ينبغى على الشعوب الأوروبية ان تحترم المسلمين وأن تعطيهم كافة الحقوق فى أوروبا.

إنهم المحتاجون إلى ممارسة شعائرهم فى مساجد يقيمونها ، أو فى أماكن عملهم مع إجازات قصيرة فى أعيادهم ، ويحتاجون إلى احترام مشاعرهم والسماح لهم بإبداء مظاهر العقيدة ويحتاجون أيضا إلى التعليم الدينى فى المدارس الأوروبية أو المدارس التى يقيمونها.

ويحتاجون كذلك إلى الحصول على الحقوق الرئيسية التى يتمتع بها الأوروبى، وبالذات الحقوق ذات الطابع الاقتصادى والاجتماعى كالحق فى العمل وفى حد أدنى للأجر وفى إجازات سنوية وأسبوعية مدفوعة الأجر ، ويحتاج من أقام منهم لفترات طويلة أن يتمتع بالحقوق السياسية بلا تمييز.

لقد عاش الإسلام فى أوروبا لفترة طويلة ، عدة قرون ، ويمكن أن يعيش فيها الآن بشكل افضل ، بعد ان انتهى الصراع وحل محله الوئام ، وأصبحت نظرية المصالح هى التى تحكم العلاقات المتبدلة بين المسلمين وغيرهم.

وقد آن الأوان لإسقاط كل دعاوى العنصرية والإحساس بالتفوق للأجناس الأوروبية حيث قاست من ذلك أكثر من غيرها. كذلك فإن الموضوعية تحتاج إلى تحكيم الشريعة الإسلامية فيما يتصل بالعلاقات بين الرجال والنساء وهى ترشدنا إلى أى مدى احترم الإنسان الأسرة واحترام كذلك المرأة ، وإن هذا الموضوع ليس نقطة ضعف فى الجانب الإسلامى بل هو قوة. إن الحريات الجنسية المطلقة أثرت بشدة على تكوين الأسرة الأوروبية وترابطها وعلى نسبة الخصوصبة فيها ، وتحتاج ان تسترشد بأحكام الإسلام فى هذه الزاوية بالذات.

سادساً: المشكلات السياسية وتفرق المسلمين وعدم وجود مرجعية بينهم:

وبالرغم من أن الإسلام يعتبر -إلى حد ما- حديث الوجود فى الدول الأوروبية بشكل عام، إلا أنه أصبح يشكل الدين الثانى بعد الكاثوليكية، إذ زاد عدد المسلمين من أصل إيطالى -على سبيل المثال- عن المائة ألف مسلم، إلى جانب المهاجرين من الدول الإسلامية الذين بلغ تعدادهم -حسب الإحصائيات الرسمية الأخيرة- أكثر من مليون مهاجر.

obeikandl.com

ولا شك أن الوجود الإسلامى على الساحة الإيطالية يتطلب تغييرات ثقافية واجتماعية وقانونية تكفل لكل مسلم الحقوق التى ينص عليها الدساتير الأوروبية، سواء كفرد أم كعضو فى جالية دينية، بما فى ذلك حق بناء المساجد وممارسة شعائر العبادة والدعوة إلى الله.

إلا أن هذا الوجود متعدد التكوين والتشكيل، فإلى جانب الأوروبيين الذين اعتنقوا الإسلام، والمهاجرين من الدول العربية والإسلامية الذين اكتسبوا الجنسية الإيطالية، الذين يتراوح عددهم بين الثلاثة والخمسة والثلاثين ألف مواطن، يتواجد فى إيطاليا الآن عدد كبير من المسلمين نزحوا من كل بلاد العالم بحثًا عن مورد رزق أو هربًا من الحروب والحملات الشرسة التى يشنها على أرض الإسلام العدو الأمريكى ومساندوه من الصهاينة والعملاء العرب. ويصل عدد هؤلاء المهاجرين حسب الإحصائيات الرسمية الأخيرة المليون نسمة، وإن كان هذا الرقم لا يتضمن بالطبع التواجد غير المشروع والذى تقدره السلطات بما لا يقل عن مائة وخمسون ألف مهاجر.

تخلف الترابط بين المسلمين فى أوروبا وأسبابه

هذا بالنسبة للإحصائيات، أما إذا أردنا رسم خريطة مفصلة للوجود الإسلامى فى أوروبا من الوجهة الثقافية والاجتماعية والدينية، نجد أن المسلمين مفككون، ولا تكفى العقيدة ولا الارتباط بدين واحد لدعوتهم إلى الوحدة والتكاتف.

ويرجع انقسام المسلمين فى أوروبا إلى عدة أسباب، أهمها:

١- الانتماء إلى تجمعات وطنية تفرضها بعض سفارات البلاد العربية على مهاجريها، وخاصة بلاد المغرب العربى التى يشكل مهاجروها أكبر عدد من المسلمين.

٢- الانقسامات الطائفية وتعدد المذاهب والطرق التى تجد أرضًا خصبة بين المهاجرين، خاصة النازحين من إفريقيا، مثل المريدية والتيجانية، والانقسام بين السنة والشيعة، والانقسام بين السنة والمذاهب الصوفية المنتشرة بين المسلمين الأوروبيين.

٣- الصراع الناتج عن الانتماء إلى تجمعات إسلامية مختلفة، مثل:

(أ) التكفير والهجرة.

(ب) الإخوان المسلمين.

(جـ) السلفيين وغيرها من التكتلات المختلفة التى انتشرت فى السنوات الأخيرة.

٤- تعدد الاتجاهات السياسية بين المسلمين.

٥- الانعزال التام لبعض التجمعات المسلمة، مثل مهاجرى ألبانيا والبوسنة.

٦- تدخل بعض البلاد العربية والإسلامية لفرض نفوذها على المسلمين فى أوروبا، وذلك بتمويل بعض الأفراد أو الجماعات الإسلامية، وبالضغط الاقتصادى والدبلوماسى على الحكومات الأوروبية حتى تقف عائقًا أمام أى مشروع أو مبادرة لا تتفق مع أهدافها وسياستها، مما ترتب عليه فشل بل وإيقاف عدة مشاريع ثقافية واجتماعية كانت تهدف إلى خدمة الإسلام والمسلمين فى كثير من الدول الأوروبية.

سابعًا: المشكلات الاقتصادية

لا شك أنه مما يدعم ويقوى التعاون بين أوروبا والمسلمين، تشجيع العلاقات الاقتصادية والتجارية بين أوروبا والأقطار الإسلامية على ان يتم ذلك على أسس متكافئة وعادلة.

إننا نحتاج الى هذا التعاون بشدة والظروف مهيأة لقبوله. فالدول الإسلامية يقوم اقتصادها على تجارة المواد الأولية، وبعض الصناعات التقليدية، بينما تمر أوروبا الآن بثورة المعلومات ويمكن ان تقام المشروعات المشتركة بين الجانبين كما يمكن إقامة مناطق للتجارة الحرة لتشجيع التبادل التجارى والتعاون فى مجال الإنتاج السلعى كما ان أوروبا يجب ان تفتح أسواقها لمنتجات الدول الإسلامية لان ذلك من الأسس التى يمكنها ان تسهم فى تجاوز الفجوة الاقتصادية الكبيرة بين الجانبين.

لقد ثبت أن العوامل الاقتصادية من أهم أسباب انتشار الظاهرة الإرهابية فى العالم وانه إذا كانت أوروبا اقوى اقتصاديا من الدول المجاورة لها ، فإنها لن تنجو من المشكلات لأن هؤلاء الجيران من الفقراء. إن أسلوب التعاون من خلال إرساء دعائم استثمار قوى فى دول الجنوب الإسلامية يجب أن يسود العلاقات الأوروبية الإسلامية فى المرحلة المقبلة.

ولا شك أن الاقليات الإسلامية التى تعيش فى أوروبا يمكن أن تلعب دور الوسيط لتنمية هذه العلاقات ، خاصة الفئة التى استوعبت قدراً مناسبا من تكنولوجيا ومعلومات العصر.

إن الصناعات الحديثة التى تقوم على التكنولوجيا كصناعات أدوات الاتصال وأجهزة الحاسب الآلى والبرمجيات الحديثة تحتاج إلى مزيد من الانتشار فى دول الجنوب، واستفادة دول الشمال فى هذا المجال ليست محدودة فهى تحتاج إلى تسويق هذه المنتجات إلى غير أسواقها بعد أن تشبعت بها هذه الأسواق.

والواقع أن التعاون الاقتصادى بين الجانبين ، وإن كان قائما الآن بدرجة ما ، إلا انه يحتاج الى دعم ، والى تزايد ليشعر الجانبان بأهميته ولتستفيد دول الجنوب اكثر منه ومن هنا تبدو أهمية ان ينشط فريق من ذوى البصيرة ممن يعيشون فى الغرب والشرق كذلك لوضع أسس قوية لهذا التعاون بشكل افضل مما تم تخطيطه فى اتفاقيات الجات والتى يحسب ما سوف يحصل عليه كل جانب -بعد التنفيذ النهائى لها- من مزايا لا يقارن بين دول الشمال ودول الجنوب.

إن اتفاقيات الشراكة الثنائية او الجماعية بين الجانبين فى الجانب الاقتصادى ، يجب أن تحقق تعاونا أوسع وأفضل فى هذه المجالات التى تقررها القوانين وأحكام الشريعة ويجب أن تأخذ طريقها للتطبيق.

ثامنا: دستور للعلاقة التى يجب أن تسود المسلمين فى بلاد الغرب

إن عدد المسلمين خارج بلاد المسلمين يصل إلى حوالى ثلاثمائة مليون مسلم، وهم الآن في تزايد مستمر، ومن المحتمل أن يتضاعف هذا العدد خلال سنوات قليلة. وقد أصبحوا يمثلون شريحة حية فى المجتمع الأوروبى وتبوأوا مكانًا مهمًا فى أوروبا، كما أن أبناء المسلمين باتوا يشكلون نسبة كبيرة من طلاب المدارس والجامعات الأوروبية.

إن المسلمين يمارسون الحريات الإسلامية فى مختلف المجتمعات الأوروبية وعلى رأسها ما يتصل بالعقيدة، وبالرأى والتعبير وسائر الحقوق التى يكفلها الاتحاد الأوروبى للمواطنين الأوروبيين وعلى قدم المساواة.

لذا، أرى أن يضع دستوراً للعلاقة بين المسلم والدولة التى يعيش فيها، يقوم على العناصر الآتية:

١- على المسلمين أن يتعاونوا فيما بينهم على التعامل وفقًا للقيم والمبادىء الإسلامية، وأن يتواصلوا دائمًا بالحق والصبر فى حماية هذه القيم والمبادىء وفى إقامة أركان الإسلام وشعائره.

٢- يجب على المسلمين أن يحافظوا على هويتهم والسمات المميزة لهم، باعتبارهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا يخل ذلك بالواجب الملقى عليهم -باعتبارهم مواطنين أو مقيمين- فى احترام القوانين الخاصة بالمجتمع الذى يعيشون فيه، كما أن ذلك لا يمنع من التفاعل مع الميادين الجديدة لحكم العلاقات الدولية فى ظل العولمة.

٣- يجب على المسلمين الاندماج فى المجتمع الذى يعيشون فيه، وأن يتعلموا لغته، وأن يتفتحوا على مختلف وجوه الحياة فيه، كما يجب عليهم أن يؤهلوا أنفسهم لتولى مسئوليات أساسية وفعالة فى هذه المجتمعات دون أن يؤثر ذلك على تمسكهم بدينهم.

٤- يجب أن يكون المسلمون فى أوروبا جسوراً للتواصل بين المجتمع الأوروبى والمجتمعات الإسلامية بما يحقق المصالح المشتركة للبلاد الأوروبية والبلاد الإسلامية وينمى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بينهم.

٥- يجب على الدول الأوروبية التى تعيش فيها التجمعات الإسلامية أن تسهل لهم سبل ممارسة الحقوق والحريات المعترف بها فى المواثيق الأوروبية والدولية، خاصة فى مجال بناء المساجد، وتخصيص الأماكن المناسبة للصلاة اليومية وصلاة الجمعة والأعياد، والسماح لهم بإجازات مدفوعة الأجر فى أعيادهم الدينية، كما أنه ينبغى على تلك الدول مساعدة المسلمين على الاندماج دون الذوبان فيها فى أعمال منتجة ومشروعات مشتركة.

٦- يجب على الدول الأوروبية أن تسمح بتدريس التربية الدينية لأبناء المسلمين فى مختلف مراحل الدراسة فيها، وكذا أن تسمح بإنشاء مدارس يقيمها المسلمون لتعليم الدراسات الإسلامية واللغة العربية والحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامى.

٧- هناك أهمية قصوى فى إنشاء هيئات علمية متخصصة فى الدراسات الجامعية والدراسات العليا فى أوروبا تعنى بالدراسات الإسلامية بمختلف فروعها، مع الاعتراف بشهاداتها وتسهيل حق الالتحاق بالوظائف العامة وممارسة مختلف الأعمال لخريجيها.

٨- على أجهزة الإعلام التى تصدر فى أوروبا الكف عن الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، والسماح لهم بحرية التعبير عن أنفسهم وعن عقيدتهم خلال مدد محدودة فى أجهزة الإعلام الرسمية.

٩- إن الإسلام دين سلام وسماحة بين مختلف الناس ويدعو المسلمين من مختلف مصادره إلى التعارف مع غيرهم والتعاون معهم.

١٠- ضرورة وجود هيئة إسلامية تمثيلية للمسلمين لدى الاتحاد الأوروبى أسوة

بالهيئة التمثيلية للكاثوليك والبروتستانت واليهود، وذلك حتى يمكن التشاور معهم فيما يخص التشريعات الخاصة بأمور الأقليات فى أوروبا وما يخص شئون المسلمين.

١١- على الجاليات الإسلامية المقيمة فى أوروبا أن تتمسك بمبادىء وقيم تعاليم الدين الإسلامى، وأن تتعاون فيما بينها على البر والتقوى، وأن يبتعدوا عن الشقاق وسوء الأخلاق؛ ليمثلوا القدوة الحسنة فى المجتمعات التى يعيشون فيها.

١٢- يجب إسقاط كل دعاوى الإرهاب والاتهام بمعاداة الغير التى تلصق بالإسلام والمسلمين زوراً وبدون أى أساس. وبناء على ذلك فإن من يمارس إرهاب الغير أو تخويفه بعيد عن الإسلام وتعاليمه وأحكامه ويستحق العقاب إعمالاً لقوله تعالى:: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[المائدة:٣٣].

* * *